أخلاقنا وأخلاقهم

ليس من شك مطلقا ، فى أن الأخلاق عماد الأمم ، والحجر الأساسى فى تكوينها ، والدعامة القوية فى بنيانها

بل هى العقيدة التى تربط أفراد الأمة بعضهم ببعض ، والصلة التى تجمعهم إلى عقد واحد مثله مثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

والمرء بطبعه شديد الحاجة إلى التخلق بالخلق الكريم والتعلق بأهدابه ، وذلك لتتم له سعادته ، وتتحقق له هويته . وأقل الفوائد التى يجنيها الأنسان من الخلق الكريم . احترام المجتمع له

وليس شرط الأخلاق توفر العلم ، بل شرط العلم توفر الأخلاق . وكم من أمة نسبة المتعلمين فيها ، أقل بكثير من نسبة المتعلمين عندنا ، ولكنها بكل أسف أرقى أخلاقا منا بكثير

تلك هى الحقيقة ، نقررها وإن كانت مرة . ولخير لى أن أصف مرضى للطبيب فيحسن تشخيصه ، من أن أكتمه العلة فأروح ضحية كتمانها

وللتدليل على صحة ماتقدم ، أدعو القارئ ليدخل أى مجتمع من مجتمعاتنا المصرية ، ثم يحدثنا عما يجده ، ولن يجده إلا سوقا عامة ، اختلط فيه الحابل بالنابل ، أو (كرنفالا) لايستطاع تمييز لونه أو تعرف أشخاصه . أو (حماما بلا ماء) لايمكن لأنسان ما توضيح أصواته أو فهم أحاديثه . وإذن فالفائدة الأدبية بعيدة التحقيق ، وتمييز النافع من الضار بعيد الحصول . ثم نتمشدق بعد هذا كله بألفاظ رنانة ، وكلمات طنانة كالمدنية القديمة ، والتاريخ المجيد ، والدم الفرعونى . . الخ

مما نحفظه عن ظهر قلب لنرصه رصا بمناسبة و بغير مناسبة

ثم تعال معى لندخل مجتمعا لأحدى جاليات الأمم الصغيرة ، بل لأصغر جالية فيها . ليس لها تاريخنا القديم ، وذلك الجدول المملوء بالألفاظ المعروفة . . .

فهل ترى إلا مجتمعا توفرت فيه كل مايجب أن تكون عليه المجتمعات من هدوء ، وسكون ، تتخللهما أحاديث اجتماعية مفيدة : أومواضيع أدبية طريفة ، أوبحوث علمية جليلة ، أومحافل سمر بريئة ، أو نكات راقية وفكاهات عالية على أقل تقدير ؟

***

وتعال معى نتامل المارين فى الطرقات . هل ترى منا إلا كهلا متصاب يخالس النساء النظر . أوشابا يقتفى أثر الفتيات يترسم خطاهن و ينشدهن على طول الطريق من ألفاظ الأغراء ، وعبارات القحة ماتندى له جبين الفضيلة خجلا ؟ . ومادرى الكهل أن تلك التى يخالسها النظر قد تكون ابنته ، وماذا يدرى الشاب أن تلك الفتاة قد تكون أخته

ثم تعال نتأمل المارين منهم . هل ترى إلا رجلا أو شابا يسرع الخطوات و ينهب الأرض نهباً ، سعيا و راء قوت يحصله أومعهد يطلبه ؟

بمثل هذه الأخلاق العالية ، تتقدم الأمم ، و يتألق نجمها حتى يشارف كبد السماء

وأما تلك الأخلاق المنحطة فهى نذير الفشل ودليل الفناء . تلك أخلاق لاتجدها فى البلاد المتوحشة ، ولا فى الشعوب المتأخرة ، فضلا عن شعب مثقف مستنير كشعبنا المصرى

هنا . وهنا فقط ، يحلولى الترنم بكلمات المدنية القديمة ، والفرعونية العتيدة ، والمجد التالد . . . إلى آخر عبارات الجدول المعروف . لأستثير حمية أبناء جلدتى ونفوسهم بها . فلعل كلمتى لا تذهب هباء منثورا .